مجلة التراث
J-ALT
2017/ Vol:7 N°04
Available online at http://www.asjp.cerist.dz

شهود القبور الرخامية في الجزائر في العهد العثماني

تاح بن جدو
طالب دكتوراه علوم بمعهد الآثار – جامعة الجزائر 02
أستاذ مساعد "أ" – جامعة زيان عاشور الجلفة

مقدِّمـــــــــة

عرفت الجزائر خلال العهد العثماني حركة نشطة في الاهتمام بالمنشآت الدينية سواء من حيث البناء والتشييد ، أو من حيث الترميم والتجديد ، وقد ساهمت الأوقاف مساهمة كبيرة في تمويل هذه المشاريع ودعمها ، وقد تمثلت هذه المنشآت أساسا في المساجد ، المدارس والزوايا ، والأضرحة ، لكن الاهتمام انصب أكثر على الصنفين الأول والثالث وهما المساجد والأضرحة .

وقد وصلتنا من تلك الفترة بعض الأضرحة والقباب ، أغلبها لشخصيات كانت ذات مكانة كبيرة في المجتمع ، بعضهم من رجال الدين كالأئمة وشيوخ الزوايا والطرق الصوفية ، وبعضهم من الساسة والعسكريين كالدايات والبايات والوزراء وكبار ضباط الجيش ورياس البحر .... .

ورغم حرمة هذه الأماكن وقدسيتها إلا أن الكثير منها بل أغلبها طالتها أيادي البشر ، فتعرض بعضها للتشوية والتخريب ، وتعرض بعضها الآخر للهدم والإزالة وصارت أثرا بعد عين ، ولم نعلم عنها إلا من خلال ما كتب في المصادر التاريخية والأثرية ، مع العلم أن جزءا كبيرا من أعمال الهدم والإزالة هذه نفذت من طرف الفرنسيين أثناء حقبة الاحتلال بحجة التوسع العمراني وأشياء من هذا القبيل .

ولدينا نموذجان هامان لهذه الأضرحة من تلك الحقبة يستحقان البحث والدراسة ، وهما ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي بالجزائر العاصمة ، وضريح صالح باي ومقبرة عائلته الخاصة بقسنطينة ، وقد حافظ هذان الضريحان بدرجة كبيرة على شكلهما الأصلي بدون حدوث أي تغييرات جذرية ، وقد تضمن كل منهما مجموعة لا بأس بها من شواهد القبور الرخامية ، سواء الكتابية منها أو التزيينية ، وقبل الحديث عن هذه الشواهد وصفا وتحليلا ، لا بأس بتقديم بعض المفاهيم العامة عن الأضرحة وشواهد القبور وتطورهما في العمارة الإسلامية .

الضرح لغة التنحية ، وقد ضرحه أي نحاه ودفعه ، واضطرحوا فلانا رموه في ناحية ، وقوس ضروح شديدة الحفز والدفع للسهم ، والضرح الشق ، وقد انضرح الشيء إذا انشق ، والضريح الشق في وسط القبر ، وقال الأزهري الضريح والضريحة ما كان في وسط القبر ، وقيل الضريح القبر كله ، وقيل الضريح قبر بلا لحد ، والضرح حفرك الضريح للميت ، وقال الأزهري سمي ضريحا لأنه يشق في الأرض شقا[1] .

أما اصطلاحا فالضريح هو الحجرة المشتملة على قبر أو تربة تعلوها قبة ، وقد ميز البعض بين القبر الذي هو حفرة الميت وبين التربة التي هي بناء مقام فوق القبر[2] .

وقد استخدمت عدة مصطلحات في العمارة الإسلامية للتعبير عن الضريح ، فأطلق عليه لفظ "القبة" ، وهو عنصر معماري موروث عن الساسانيين والبيزنطيين ، ثم استخدمت القبة عند المسلمين لتغطي الغرف المربعة والمستديرة للأضرحة ، ثم أطلق الجزء على الكل وأصبح يسمى بها الضريح كله[3] .

ويسمى الضريح أيضا "تربة" والمقصود بها المبنى الضريحي الذي يقام على رمس الميت ، واستعمل هذا المصطلح عند الأتراك ، وأطلق عليه أيضا اسم مشهد كما أطلق عليه اسم مزار نسبة إلى الزيارة ومصطلح " إم زاد " أو " شاه زاد " ، وأطلق عليه أيضا لفظ " مقام " خاصة في البلاد العربية ، وفي المغرب استعملت كلمة "مربوط" للدلالة على الضريح أيضا[4] .

أما شاهد القبر فجمعه شواهد وهو لوح رخامي أو حجري يوضع فوق القبر عند رأس الميت يكتب عليه غالبا بعد البسملة آيات قرآنية متعلقة بمقام الموت والبعث والحساب والجنة والنار وشهادة التوحيد ، كما يكتب عليه اسمه وموطنه ومذهبه وتاريخ وفاته ، وقد بلغ إتقان الكثير من الشواهد إعدادا ونحتا وكتابة – غائرة وبارزة – مستوى جعلها من الأعمال الفنية الراقية فاحتلت أماكنها في المتاحف المختلفة لجمال نقشها وروعة كتابتها وعظمة مدلولها تاريخيا ، أثريا وفنيا[5] .

---

[1] ابن منظور ، **معجم لسان العرب** ، ج 08 ، تصحيح أمين محمد عبد الوهاب ، محمد الصادق العبيدي ، ط 3 ، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، 1999 ، ص 43 .

[2] عاصم محمد رزق ، **معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية** ، مكتبة مدبولي ، مصر ، 2000 ، ص 175 .

[3] عبد الكريم عزوق ، **" الأضرحة ببجاية – دراسة نموذجية "** ، مجلة دراسات تراثية (يصدرها مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط – جامعة الجزائر 02) ، ع 01 ، الجزائر ، 2007 ، ص 136 .

[4] نفسه ، ص 136 ، 137 .

[5] عاصم محمد رزق ، مرجع سابق ، ص 158 .

هذا عن تعريف الضريح وشاهد القبر لغة واصطلاحا ، أما عن تطورهما في العمارة الإسلامية فقد تعددت أساليب بناء القبور منذ فترة ما قبل التاريخ ، حيث وجدت مدافن على شكل مساكن ، وهي عبارة عن مناضد حجرية تتكون من عدة غرف ، وأشكال أخرى عبارة عن مغارات في الصخور ، وفي العمارة المصرية ظهرت الأهرامات والمصاطب ، وظهر ما يشبهها في حضارة بلاد الرافدين ، وفي العمارة الرومانية ظهرت بعض الأنواع من الأضرحة عبارة عن أقبية تحت الأرض ثم المقابر التذكارية المستديرة ثم الأضرحة الهرمية[6] .

وفي العصر الإسلامي برز هذا النوع من العمارة أيضا ، ولعل أقدم الأضرحة الإسلامية ذات القباب التي مازالت قائمة حتى اليوم هي قبة الصليبية في سامراء التي أقيمت فوق قبر الخليفة المنتصر بالله العباسي سنة 245 هـ (859 م) وهي بناء مثمن في وسطه حجرة للدفن تعلوها قبة ذات قطاع مدبب [7] ، ثم يأتي بعدها ضريح إسماعيل السامانى المبني عام 296 هـ (909 م) في مدينة بخارى ثم ضريح الإمام علي الذي بناه الحمدانيون بالنجف عام 317 هـ (929 م) ، ثم ضريح محمد بن موسى في مدينة قم بإيران عام 366 هـ (977 م) وضريح سبع بنات في الفسطاط الذي بني عام 400 هـ (1010 م)[8] .

وقد انتشرت الأضرحة في بلاد المغرب أيضا ، فقد وجدت مجموعة كبيرة من قبور الأولياء ، العلماء والصالحين لكن الكثير منها للأسف مجهولة التأسيس ، وفي الجزائر نلاحظ أن هذه الأضرحة تزيد كلما اتجهنا غربا ، وقد ذكر الجنرال كوفي أن منطقة وهران وحدها تضم أكثر من مائتي ضريح تحمل اسم سيدي عبد الرحمان الجيلاني [9] ، كما وضع تقسيما لأنواع الأضرحة على النحو التالي[10] :

- أضرحة ذات قباب نصف كروية .
- أضرحة عبارة عن أكواخ صغيرة مغطاة بسقف مسطح أو سطح يعلوه قرميد .
- أضرحة ذات قباب مغطاة بقرميد .
- أضرحة ذات قباب مخروطية .
- أضرحة هرمية الشكل بدون شرفات وهو تأثير مغربي أندلسي بدأ انتشاره مع مطلع القرن 12 م .

---

[6] عبد الكريم عزوق ، مرجع سابق ، ص 137 .

[7] عاصم محمد رزق ، مرجع سابق ، ص 175 .

[8] عبد الكريم عزوق ، مرجع سابق ، ص 137 .

[9] أظن أن الكاتب هنا كان يقصد عبد القادر الجيلاني دفين بغداد (ت 561 هـ / 1166 م) وليس عبد الرحمان .

[10] عبد الكريم عزوق ، مرجع سابق ، ص 138 .

ومن الملاحظ أن النوع الذي كان أكثر شيوعا وانتشارا بالجزائر هو الأضرحة ذات الشكل المربع الذي تعلوه قبة نصف كروية محمولة على منطقة انتقال مثمنة الشكل ، وفي بعض الأحيان بدون منطقة انتقال [11] .

ولننتقل الآن للحديث عن شواهد القبور بالأضرحة محل الدراسة

أولا : ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي

يقع هذا الضريح ومسجده حاليا في أطراف القصبة على طريق باب الوادي ويشرف على شارع عبد الرحمان عرباجي في نقطة التقائه مع شارع عبد الرزاق حداد ، وشماله نجد كل من ثانوية الأمير عبد القادر وحديقة براغ .

كان سيدي عبد الرحمان يسكن في المكان الذي وجد به ضريحه ، وكان وكيلا على مسجد بهذا المكان دمر سنة 1859 ، وهناك كتابة تذكارية على لوح من الرخام تؤكد أن الشيخ كان يسكن في المكان ذاته [12] .

بني هذا المسجد بمئذنته الجميلة ذات الأعمدة سنة 1696 فوق القبة أو الضريح الذين دفن به الولي الشهير والعالم الكبير عبد الرحمان الثعالبي الذي توفي سنة 1471 [13] .

والضريح كما نشاهده اليوم أمر ببنائه الأمير الحاج أحمد بن الحاج المصلي سنة 1108 هـ / 1696 م حسبما هو موضح بكتابة تأسيسية تعلو باب الضريح [14] ، هذه المنشأة بجميع مرافقها تغطي مساحة قدرها حوالي 1400 م^2 وتشتمل على مسجد صغير قليل الأهمية ودوره ثانوي إذا ما قورن بالضريح ، منارة أنيقة مربعة الشكل وقاعة الضريح وهي قبة قبر الشيخ عليه تابوت كما هي العادة وعدة بيوت ومرافق وسكنى للوكيل متصلة بالمسجد ، قاعة إيواء لعابري السبيل والفقراء ، مقبرة خاصة ومجموعة من المراحيض العمومية تضم عين ماء وأماكن للوضوء [15] .

---

[11] نفسه ، ص 139 .

[12] بن بلة خيرة ، **المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني** ، رسالة دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية ، إشراف : د.عبد العزيز لعرج ، جامعة الجزائر ، 2008/2007 ، ص 99 .

[13] Henri Klein , **feuillets d'El-Djazair** , Tome 02 , édition du Tell , Blida - Algérie , 2003 , p 11 .

[14] نور الدين عبد القادر ، **صفحات من تاريخ مدينة الجزائر منذ أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي** ، دار الحضارة ، الجزائر ، 2006 ، ص 171 .

[15] Albert Devoulx , **les édifices religieux de l'ancien Alger** , typographie Bastide , Alger , 1870 , p 38 , 39 .

وفي الضريح قبور لعمر باشا ، مصطفى باشا والحاج علي بن الحفاف ، وفي الخارج قبور أخرى كثيرة في أرض كبستان ، وفي حظيرة لها باب مغلق قبر أحمد باي قسنطينة المتوفى بالجزائر سنة 1850[16] ، وقد تضمنت هذه القبور مجموعة من الشواهد الرخامية هي التي سنقوم بدراستها الآن من خلال الوصف والتحليل .

1 – قبر الداي مصطفى باشا بن ابراهيم (1798 – 1805) (صورة 01)

يتكون شاهد هذا القبر من عمود مثمن مدمج بالجدار الشمالي الغربي لقاعة الضريح ، بكل ضلع من أضلاعه الخمس الظاهرة كتابات تذكارية ويعلوه تاج على شكل عمامة مستديرة ، وعن جانبي العمود لوحتان مستطيلتا الشكل بكل منهما كتابة تذكارية شاهدية .

1 – 1 – العمود المثمن :

وهو عمود مثمن من الرخام الأبيض به بعض التعريقات الرمادية ارتفاعه 90 سم ولأنه مدمج الجدار لا تظهر كل أضلاعه بل تظهر منها خمسة فقط ، بكل منها كتابات نفذت بخط الثلث وتقرأ من الأعلى إلى الأسفل ، ونبدأ من اليسار إلى اليمين كالتالي :

الضلع الأول نقرأ به :

سبحان الحي الباقي الدائم بعد فناء عبادة الفانين الوفا

الضلع الثاني نقرأ به :

هو الرحمن الرحيم يرحم من يشاء من عباده الذين اصطفا .

الضلع الثالث (الأوسط) نقرأ به :

يا رحمن يا رحيم عبدك ابراهيم بن باي الجزائر مصطفا – سنة 1262 .

الضلع الرابع نقرأ به :

يرجوك رحمة دايمة يا كريم بها يفوز وبها يكتفا .

الضلع الخامس (الأخير) نقرأ به :

فارحمه رحمة تعينه بك عن من سواك واحشره في زمرة المصطفا .

ونلاحظ أن الكتابة جاءت على شكل أبيات شعرية التزم فيها بقافية موحدة هي الفاء والألف لكن بدون احترام الوزن الموحد .

[16] نور الدين عبد القادر ، مرجع سابق ، ص 172 .

1 – 2 – اللوحة عن اليسار :

وهي لوحة مستطيلة الشكل ارتفاعها 77 سم وعرضها 35 سم تضمنت إطارا مستطيلا به ستة أسطر نفذت بطريقة الحفر الغائر وبخط الثلث نقرا فيها :

سطر 01 : هو الدايم بلا زوال وكل ماسواه دوامه محال .

سطر 02 : هذا قبر المرحوم بكرم الحي القيوم الراجي رحمة ربه الرحيم .

سطر 03 : مصطفى باشا بن ابراهيم تغمده الله في رحمته سنة 1220 .

سطر 04 : ثم لحق به ابنه السيد محمد رحمه الله سنة 1224 .

سطر 05 : ثم لحق به ابنه السيد مصطفى رحمه الله سنة 1225 .

سطر 06 : ثم لحق به ابنه السيد احمد سنة ..... تغمد الله الجميع في رحمته .

1 – 3 – اللوحة عن اليمين :

وهي لوحة مشابهة تماما للوحة السابقة إلا في مضمون الكتابة التي جاءت في ستة أسطر نقرأ فيها مايلي :

سطر 01 : لا اله الا الله الملك الحق المبين محمد رسول الله الصادق الوعد الامين .

سطر 02 : المقبور في هذا القبر المذكور العبد الحقير الراجي .

سطر 03 : رحمة ربه الغفور ابراهيم بن مصطفى باشا المشهور تغمده .

سطر 04 : الله في رحمته الى يوم البعث والنشور فاعتبر بها المغرور .

سطر 05 : انما الدنيا ليست بدار سرور * وكل ما عليها يصير مثلي مقبور .

سطر 06 : وكانت وفات المرحوم اليوم الثامن من ربيع الثاني سنة 1262 .

إذا فشاهد القبر هذا خاص في الأصل بداي الجزائر مصطفى باشا لكنه تضمن ذكرا وتكريما لأولاده وهم : محمد ، مصطفى ، أحمد وإبراهيم .

وقد صنع هذا الشاهد بكل أجزائه من رخام أبيض جميل به بعض التعريقات الرمادية .

1 – 4 – التعريف بصاحب القبر :

هو مصطفى بن إبراهيم حسبما ما هو مذكور في شاهد القبر وحسبما ذكره نور الدين عبد القدر أيضا ، وحسب الطبيب الألماني شونبيرغ فقد ولد بالأناضول لأبوين فقيرين وقدم إلى الجزائر في أيام شبابه فانضم إلى فرق الانكشارية ، وحيث أنه لم يكن ذا ذكاء أو مواهب بارزة فقد اقتصر عمله في أول الأمر على كنس الزقاق الواقع أمام

الثكنة التي كان يقيم بها ، ثم توسط له أحد أقاربه ويدعى حسن وكان إذاك في مركز كبير [17] في حكومة الداي محمد باشا فانتقل إلى العمل في القصر ، وأخذ يرتقي فيه من منصب لآخر ، وعندما أصبح حسن المذكور دايا للجزائر رفع مصطفى إلى منصب خزناجي وبقي فيه بصورة مستمرة لأنه لم يفعل أي شيء يسيء إلى سمعته أو منصبه ، كما لم يكن حريصا على بلوغ الشهرة أو كسب الأصدقاء ، وباختصار لم يظهر في سلوكه أبدا ما يحمل الداي على عدم الثقة به أو عزله [18] .

وقد ذكر الزهار أن مصطفى كان حفيد حسن باشا [19] ، وأنه عينه خزناجيا مباشرة بعد أن صار حاكما للجزائر في 10 ذي القعدة 1205 هـ (جويلية 1791) ، وظل في منصبه حتى توفي حسن باشا فتولى مكانه دايا للجزائر في ذي القعدة 1212 هـ (أفريل/ماي 1798) ، وكان رجلا صالحا حليما كريما محبا للعلماء والصلحاء رحيما بالفقراء والأيتام ، محبا للمجاهدين والغزاة شجاعا مقداما[20] .

وقد امتد حكم مصطفى باشا سبع سنوات توترت فيها العلاقات مع الباب العالي في بدايتها ، كما توترت لحين مع الفرنسيين أيضا الذي احتلوا مصر سنة 1798 ، وساءت العلاقات مع الإنجليز لبعض الوقت أيضا ، ودارت بعض المعارك البحرية من النابوليين والبرتغال وحتى مع تونس .

كما كثرت الثورات والفتن الداخلية في عهد مصطفى باشا ضد حكم العثمانيين ولعل من أبرزها وأخطرها ثورة ابن الشريف الدرقاوي في الغرب تلتها ثورة ابن الأحرش في الشرق ، وقد عرف مصطفى باشا بحبه لليهود وتقريبهم ، وقد أثار ذلك سخط الكثير من الأهالي وحتى الأتراك عليه فقامت ضده العديد من محاولات الانقلاب أطاحت آخرها – وهي التي قادها أحمد خوجة ضده – برأسه وكان ذلك في 05 جمادى 1220 هـ (31 أوت 1805) وعين أحمد خوجة مكانه دايا للجزائر [21] .

هذا وقد كان مصطفى باشا مولعا بالبناء والتشييد وهو الذي شيد برج باب الوادي وكان قبل ذلك مزبلة عمومية ، وكان بناحية تافورة برج صغير فهدمه وبنى مكانه برج رأس تافورة ، كما اتخذ بستانا بناحية عين الربط وبنى به

---

[17] كان وكيلا للحرج ثم عين خزناجيا قبل أن يصبح دايا للجزائر سنة 1792 .

[18] أبو العيد دودو ، **الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان** ، دار الأمة ، الجزائر ، 2008 ، ص 41 .

[19] هناك تضارب في كلام الزهار ، فقد ذكر في موضعين أن مصطفى هو حفيد حسن باشا ، ثم ذكر في موضع آخر أن حسن باشا هو خال مصطفى ، أنظر : أحمد شريف الزهار ، **مذكرات نقيب أشراف الجزائر** ، تحقيق أحمد توفيق المدني ، دار البصائر ، الجزائر ، 2009 ، ص 82 ، 94 .

[20] أحمد شريف الزهار ، مصدر سابق ، ص 82 ، 94 .

[21] نفسه ، ص 118 ، 119 .

دورا وقصورا وكل ذلك الآن جزء من قصر الشعب ، كما اهتم بصناعة المراكب الحربية فأنشأ فرقاطتين كبيرتين ومائتي لنجور والعديد من أنواع السفن الأخرى[22] .

2 – قبر عمر باشا :

يوجد قبر آخر داخل قاعة الضريح يتضمن شاهده كتابة لكننا لم نستطع قراءتها نظرا لتغيرها بسبب التشويه الذي طالها ، وقد أخبرت من القائم على الضريح أنه قبر عمر باشا ، وقد ذكر نور الدين عبد القادر أنه يوجد بقاعة الضريح قبور لمصطفى باشا وعمر باشا[23] ، ولم يذكر نور الدين عبد القادر من هو بالضبط غير الاسم لكنه ذكر لاحقا في موضع آخر أن قبر عمر باشا داي الجزائر الذي خَلَف الحاج محمد باشا [24] في منصبه يقع داخل ضريح سيدي عبد الرحمان ليؤكد من هو .

وضريحه موجود بقاعة ضريح سيدي عبد الرحمان الرئيسية على يسار الداخل مباشرة وقبل ضريح مصطفى باشا السابق .

2 – 1 – وصف الشاهد (صور 02 ، 03) :

هذا القبر مصنوع من الرخام والزليج ويتضمن شاهد قبر على شكل لوح مستطيل ينتهي في الأعلى بشكل يشبه العقد وفي أعلاه شكل دائري .

هذا الشاهد يتضمن زخارف في الوجه وكتابة في الظاهر ، بالنسبة للوجه فإن زخارفه قوامها مزهرية في الوسط تنبثق منها سيقان وأوراق نباتية مختلفة ومراوح نخيلية محورة تستطيل نحو الأعلى وتتدلى إلى الأسفل ، والكل داخل إطار شكله هو شكل الشاهد نفسه ماعدا الدائرة في الأعلى ، وتحيط بهذا الإطار من جميع الجهات على شكل شريط مجموعة من الزخارف النباتية مماثلة تماما لسابقتها .

أما الدائرة فإنها في الأصل على شكل هلال لكنه محلق (تام الدائرة) بداخله مجموعة من الزخارف النباتية وفي مركزه زهرة سداسية مفصصة .

هذا عن الوجه أما بالنسبة للظهر فقلنا أنه تضمن كتابة تذكارية بالتأكيد لكنها انمحت وصارت غير قابلة للقراءة ويبدو أن هذه الكتابة كانت تتكون من خمسة أسطر كل سطر داخل إطار على شكل خطين أفقيين مستقيمين متوازيين وعلى الجانبين خطان منحنيان على شكل نصف دائرة .

---

[22] نفسه ، ص 106 ، 107 .

[23] نور الدين عبد القادر ، مرجع سابق ، ص 172 .

[24] **الحاج محمد باشا (1815)** : لم يعمر في منصبه سوى أسبوعين ثم اغتاله الجند لأنه كان يريد إدخال نظام جديد على الخزينة .

صنع هذا الشاهد من رخام أبيض ناصع لكن تنقصه القليل من الرعاية خاصة من جهة الظهر ، كما انه تعرض لكسر على عرضه في الأسفل ولذلك هو مسنود حاليا إلى جذع خشبي ومربوط حوله بسلك معدني .

وليس الشاهد فقط هو المصنوع من الرخام في هذا القبر ، فهذا القبر مبني على مستويين ، المستوى الأول بني جداره من البلاطات الخزفية وغطي من فوق بألواح رخامية سمكها حوالي 02.5 سم ، واحدة على طوله وأخرى على عرضه أما الجهتان الباقيتان فإن القبر مدمج بالجدار من جهتين .

المستوى الثاني جداره عبارة عن لوحين رخامين طويلين بهما زخارف من فوق عبارة عن قنوات عرضية تتخللها أزهار سداسية مفصصة ، وعلى الجانبين نفذت مجموعة من الزخارف النباتية عبارة عن سيقان وأوراق .

2 – 2– التعريف بصاحب القبر :

ذكر الأستاذ أحمد توفيق المدني نقلا عن ليون روش في كتابه "ثلاثون سنة خلال الإسلام" أنه روى عن أحد أبناء عمر باشا شخصيا أن أباه قدم من تركيا إلى إفريقيا على نفس المركب التي جاء فيها محمد علي الذي أصبح باشا مصر واتصلت بينهما الصداقة وكانا قاصدين مصر معا لمحاربة الفرنسيين ، وأفضى كل منهما لصاحبه بطموحاته وأحلامه ، فقال محمد علي لعمر لا يجب أن نكون معا في بلد واحد لأننا لا محالة سنتصادم ونختلف ، فأنا سأذهب إلى مصر وأنت اذهب إلى بلد آخر واتفقا على ذلك ، فكان عمر ممن قدم إلى الجزائر[25] .

تدرج عمر باشا في المسؤوليات حتى وصل إلى الحكم في ربيع الثاني 1230 هـ (مارس/أفريل 1815) وكان قبل ذلك يشغل منصب آغا العسكر ، ولم يقبل بمنصب الداي إلا بعد إلحاح كبير عليه من الانكشارية وبعد أن أخذ عليهم الكثير من الوعود والعهود والتطمينات لأنه كان يعرف مسبقا مصير الدايات في ذلك الوقت ، خاصة وأن سلفه محمد باشا لم يعمر في الحكم سوى أسبوعين وتم اغتياله[26] .

ومن أهم الأحداث في عهد عمر باشا استشهاد الرايس حميدو في معركة بحرية مع أسطول أمريكي ، وقد عم الحزن كامل البلاد لموته واغتم الداي لذلك كثيرا [27] ، ونذكر أيضا من أهم الأحداث في فترة حكم عمر باشا حملة اللورد إكسموث التي رست بميناء الجزائر في 27 أوت 1816 ، وقد أحدثت دمارا كبيرا في المدينة مس حتى الجامع الكبير ، وقد أشار بعض سفهاء العسكر في ذلك الوقت على الداي بعقد الصلح مع الإنجليز فنزل عند رغبتهم ، وقد كان صلحا

[25] أحمد شريف الزهار ، مصدر سابق ، ص 144 .
[26] نور الدين عبد القادر ، مرجع سابق ، ص 124 .
[27] أحمد شريف الزهار ، مصدر سابق ، ص 145 ، 146 .

مذلا وجر الخسارة على الجزائر فنقم عليه ذلك الكثير من العسكر [28] ، ثم عقد صلح آخر مع الأمريكان أيضا في ديسمبر من نفس السنة ، وفي جوان 1817 انتشر طاعون بمدينة الجزائر لم تبتل بمثله منذ أكثر من 20 سنة في ذلك الوقت[29] .

وفي 08 سبتمبر 1817 اجتمع الجند برئاسة علي خوجة وقرروا خلع عمر باشا لفساد حكمه وتدهور أوضاع البلاد في وقته ، فقتلوه خنقا وعينوا مكانه علي خوجة وكان يلقب بعلي موسرلي[30] .

وقد ذكر الزهار عن فترة حكم عمر باشا ما يلي : " ... وكانت دولته وأيامه كلها عكس ومصائب ، الجراد والغلاء ، ومصيبة موت حميدو ومصيبة إنكليز ، وكان سفاكا للدماء " [31] ، وفي موضع آخر قبلها ذكر " ومن ولاية هذا الظالم تقهقهرت بلادنا ورجعت إلى الوراء ، ولو شاء الله لكان الإنكليز أخذ البلد هذه المرة "[32] .

3 – ضريح الحاج أحمد باي :

يوجد هذا الضريح في الحديقة التي تسبق ضريح سيدي عبد الرحمان في جناح خاص مغلق عبارة عن حديقة صغيرة يليها إيوان له بائكة صغيرة تطل على هذه الحديقة ، والقبر موجود داخل هذا الإيوان ، وهذا الجناح مقفل الآن ولم نستطع الدخول إليه إلا عبر فتحة تشبه النافذة بحجة أن المفتاح قد ضاع ، يتضمن هذا القبر شاهدين متماثلين في الشكل ومختلفين في الكتابة .

3 – 1 – الشاهد الأول (صورة 04) :

وهو على شكل لوح مستطيل الشكل مثبت أفقيا وفي أعلاه شكل عقد يعلوه شكل هلال متجه نحو الأعلى .

وجه هذا الشاهد مزين بزخارف نباتية متنوعة نفذت بطريقة الزخرفة البارزة قوامها سيقان ، أوراق وأزهار والكل داخل إطار يأخذ شكل الشاهد تماما ويحيط به شريط من مكعبات صغيرة مدببة الرؤوس ثم شريط آخر من القنوات العرضية الصغيرة .

أما بالنسبة لظهر هذا الشاهد فقد تضمن كتابة تخلد ذكرى صاحب القبر وتاريخ وفاته ، وقد جاءت هذه الكتابة في خمسة أسطر نفذت بخط الثلث وبطريقة بارزة ، كل سطر داخل إطار مستطيل ، ونقرأ في هذه الكتابة ما يلي :

سطر 01 : هذا قبر المرحوم .

---

[28] نفسه ، صص 150 – 155 .

[29] أبو العيد دودو ، مرجع سابق ، ص 76 .

[30] نفسه ، ص 76 ، 77 .

[31] أحمد شريف الزهار ، مصدر سابق ، ص 158 .

[32] نفسه ، ص 155 .

سطر 02 : بكرم الحي القيوم .

سطر 03 : سيدي الحاج احمد باي .

سطر 04 : بن محمد الشريف رحمه الله .

سطر 05 : في ذي القعده 1267 .

والتاريخ المذكور يوافق تاريخ أوت أو سبتمبر من سنة 1851 وهو تاريخ وفاة الحاج أحمد باي .

3 – 2 – الشاهد الثاني (صورة 05) :

كما قلنا فإنه مماثل لسابقه في الشكل لكنه مختلف عنه في الكتابة ، وحيث أنه مسند للجدار فإننا لا نستطيع معرفة ما بوجهه ونكتفي بالظهر الذي تضمن الكتابة .

وقد جاءت هذه الكتابة في خمسة أسطر ونفذت بنفس الطريقة والخط ونقرأ فيها ما يلي :

سطر 01 : هو الباقي على الدوام .

سطر 02 : سبحانه لا اله الا الله .

سطر 03 : الملك الحق المبين .

سطر 04 : محمد رسول الله .

سطر 05 : الصادق الوعد الامين .

وليس الشاهدان فقط هما العنصران المصنوعان من الرخام ، بل إن جداري القبر مصنوعان من لوحين مستطيلين من الرخام زين كل منهما بحزام لولبي من فوق أما عن الجانب فقد زين كل منهما بزخارف نباتية عبارة عن سيقان وأوراق نباتية متنوعة .

وجميع هذه القطع (الشاهدان واللوحان الجانبيان) مصنوعة من نفس الرخام ، وهو رخام أبيض شاحب قليل الجودة .

3 – 3 – التعريف بصاحب القبر :

هو الحاج أحمد باي بن محمد الشريف بن أحمد القلي ، وابن الحاجة شريفة ، كان أبوه محمد الشريف خليفة للباي حسين الذي تولى بعد مقتل صالح باي مباشرة (1792 – 1795) ، وجده هو أحمد القلي الذي شغل منصب

باي قسنطينة لمدة 15 سنة (1756 - 1771) والذي قيل عنه أنه كان رجلا عاقلا صالحا عالما بتسيير شؤون البلاد ، أما أمه الحاجة شريفة فهي من أسرة بن قانة المشهورة في الصحراء[33] .

ذكر أحمد بوضربة في رسالة صغيرة كتبها سنة 1833 أن عمر الحاج أحمد باي حاليا هو 47 سنة وعلى ذلك فيكون قد ولد سنة 1786[34] ، وقد قتل أبوه محمد الشريف خنقا بأمر من داي الجزائر ففرت به أمه إلى الصحراء وهو رضيع لتنقذه من مصير أبيه ، وكان أخوها شيخ قبيلة عربية عظيمة في الصحراء هي عائلة بن قانة ، وبمساعدته استطاع أن يصل أحمد إلى منصب خليفة لباي قسنطينة[35] .

لقد نشأ أحمد في بيت أخواله فشب على حياة البداوة وتعلم الفروسية ، وتدرب على القتال فكان رجلا حاسما وشجاعا لا يعرف التردد عندما يجب الفصل في القضايا المصيرية[36] .

أما بوضربة فقد ذكر أن أحمد انقاد في أول حياته إلى المجون والفجور حتى صار أخواله يخشون أن يجلب عليهم الضرر وسوء العاقبة نتيجة أفعاله فأرسلوه للحج إلى مكة المكرمة تحت رقابة أحد أقربائه فمكث هناك بضع سنوات ، وعندما عاد من هذه الرحلة بذل كل ما في وسعه ليصل إلى منصب خليفة واستمر في طموحه إلى أن حصل على ذلك المنصب ، وقد شغله مدة ثلاث سنوات أمضاها كلها في مناورات ضد الباي المشرف عليه ابن شاكر (1813 - 1819) وجعله يفشل في كل أعماله ومشاريعه حتى خلعه الداي حسين وعين مكانه بايا آخر هو إبراهيم الكريتلي الذي اكتشف بسرعة كل مناورات الحاج أحمد وكتب إلى الداي حسين يخبره بأنه خائن وأنه على صلة بباي تونس ويريد تسليمه إقليم قسنطينة ، ففر الحاج أحمد إلى مدينة الجزائر والتجأ إلى إحدى الزوايا وأرسل شيخها إلى الداي يدافع عن نفسه ويقدم الأعذار والمبررات حتى عفا عنه الداي ، فمكث ثلاثة أشهر في مدينة الجزائر ثم نفي إلى مليانة التي قضى بها سنتين ونصفا ، وبعد تدخلات كثيرة ومساع عديدة قامت بها أمه وأشخاص آخرون لدى يحي آغا استقدمه هذا الأخير إلى البليدة وقربه منه فاتصلت الصداقة بينهما ، وحيث أن إقليم قسنطينة كان يعاني العديد من المشاكل العالقة فقد توسط يحي آغا لدى الداي حسين لينصب الحاج أحمد بايا على قسنطينة ونجح في ذلك لنفوذه الكبير وكان ذلك سنة 1826[37] .

---

[33] محمد العربي الزبيري ، **مذكرات الحاج أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة** ، ط 2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981 ، ص 06 .

[34] نفسه ، ص 06 .

[35] فندلين شلوصر ، **قسنطينة أيام أحمد باي** ، ط 1 ، تر أبو العيد دودو ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ،1980 ، ص 32 .

[36] الزبيري ، مصدر سابق ، ص 06 .

[37] نفسه ، صص 115-118 .

اشترك أحمد باي في الدفاع عن مدينة الجزائر أمام الفرنسيين ولما سقطت المدينة انسحب إلى قسنطينة حيث بدأت مقاومته الجديدة التي تنقسم إلى مرحلتين ، المرحلة الأولى إلى غاية سقوط مدينة قسنطينة واحتلالها من طرف القوات الفرنسية سنة 1837 ، والمرحلة الثانية تبدأ من هنا وإلى غاية استسلامه وعقد الاتفاق مع الفرنسيين سنة 1848[38] .

ثانيا : شواهد القبور بمقبرة صالح باي

تضم هذا المقبرة التي تقع داخل مجمع الكتانية مقابلة لمدخل المدرسة مجموعة معتبرة من القبور تعود في الأساس لصالح باي وأفراد عائلته وبعض مقربيه ، وقد أنجزت هذه القبور في الغالب بالرخام والزليج ، وهناك بعض القبور تضم شواهد من الخشب ، ولعل أهم هذه القبور هو قبر صالح باي .

1 – شاهد قبر صالح باي :

1 – 1 – وصف الشاهد (صورة 06) :

يزين هذا القبر شاهد من الرخام الأبيض الناصع الجميل ، وهو عبارة عن لوح مستطيل الشكل لكنه لا ينتهي بخط مستقيم من فوق وإنما بخطوط منحنية على شكل أنصاف دوائر ذات طابع زخرفي تنتهي بهلال متجه نحو الأعلى ، ارتفاع هذا الشاهد 65 سم أما عرضه فـ 45 سم .

زين هذا الشاهد بكتابة تذكارية تخليدا لذكرى وفاة صاحب القبر ، وتتوزع هذه الكتابة على تسعة أسطر ، السطر الأول تضمن البسملة أما السطر الأخير فقد تضمن تاريخ الوفاة بالأرقام ، وبالنسبة لباقي الأسطر فقد تضمنت سبعة أبيات تتضمن مدحا وتشييدا بصاحب القبر كل مصراع من البيت داخل إطار مكون من خطين أفقيين متوازيين وخطين منحنيين عن الجانبين ، وتتخلل ذلك بين الإطارات وعن الجانبين زخارف نباتية عبارة عن أزهار مفصصة .

وقد نفذت الكتابة بخط ثلث جميل وواضح وبالطريقة البارزة ، وهي لا تزال بحالة جيدة ويمكن قراءتها بسهولة وهاهو نصها :

سطر 01 : بسم الله الرحمن الرحيم .

سطر 02 : ضريح لاح في اوج السعادة * كما عقد الجواهر في النضاده .

سطر 03 : به باي الزمان اخو المعالي * به قد راح صالحة رشاده .

سطر 04 : امير عاش في الدنيا سعيدا * وعند الموت قد حاز الشهاده .

---

[38] للمزيد عن مقاومة أحمد باي أنظر : (– الزبيري ، مصدر سابق . – محمد الصالح بن العنتري ، **تاريخ قسنطينة** ، تحقيق يحي بوعزيز ، دار البصائر ، الجزائر ، 2009 ، صص 90 – 124 . – يحي بوعزيز ، " **معارك الحاج أحمد في جبال أولاد السلطان من خلال ثلاث وثائق جزائرية** " ، ملحق ضمن كتاب تاريخ قسنطينة لابن العنتري ، صص 151 – 172) .

سطر 05 : فكم من منزله في الله جلت * وكم اجرى لطاعته جواده .

سطر 06 : وجاهد في سبيل الله فوزا * فافنى الفنش واستوفى جهاده .

سطر 07 : مدارس قد بنى لله فضلا * وكم للخير بلغه مراده .

سطر 08 : شهر محرم قد مات .... * امير حاز مفتاح السعاده .

سطر 09 سنة 1207 .

والتاريخ المذكور هنا هو محرم 1207 هـ ويوافق بالميلادي شهر أوت أو سبتمبر من سنة 1792 م .

هذا وقد بني القبر من الجانبين بألواح مستطيلة من الرخام الأبيض الشاحب ، وغطي من فوق بألواح مستطيلة من الرخام الأبيض أيضا ، وفي مؤخره عمامة ترتفع فوق قاعدة تشبه عمودا مستديرا قصيرا والكل من الرخام الأبيض الجميل .

1 – 2 – التعريف بصاحب القبر :

يعد صالح باي أشهر من حكم مقاطعة الشرق الجزائري في العهد العثماني ، وقد حفل حكمه الذي تجاوز العشرين سنة (1771 – 1792) بأحداث هامة وبارزة على الصعيدين المحلي والدولي .

ولد صالح سنة 1725 بمدينة إزمير لأب يدعى مصطفى ينتمي إلى أسرة متوسطة الحال [39] ، واضطر إلى الفرار من بلده وهو فتى يافع للتملص من تبعات جريمة قتل ارتكبها بتهور ونزل بمدينة الجزائر وعمره حوالي 16 سنة ، بدأ حياته هناك أولا كخادم صغير في مقهى قريب من إحدى ثكنات الانكشارية ، فكان الجند يترددون بكثرة على هذا المقهى وهناك احتك صالح بهم وانخرط في صفوف الانكشارية كجندي بسيط ، وسار بعدها مع محلة الشرق السنوية المتجهة إلى قسنطينة قصد تعزيز الحامية التركية بها والمشاركة في جمع الضرائب ، وفي إحدى الحملات على تونس أثار صالح بمهاراته الحربية وحنكته السياسية إعجاب أحمد القلي الذي كان وقتها قائدا عسكريا فقربه منه واتصلت الصداقة بينهما ، وعندما أصبح أحمد القلي بايا على قسنطينة عينه قايدا على قبيلة الحراكته ثم صاهره بتزويجه ابنته ، وبعد ذلك بثلاث سنوات عينه خليفة له سنة 1765[40] .

ظل صالح يشغل منصب الخليفة لمدة ست سنوات (1765 – 1771) كان فيها نعم السند لصهره الباي القلي ، وقد ناب عنه في تقديم العوائد الفصلية (الدنوش الصغرى) إلى الداي محمد عثمان باشا الملقب بالمجاهد فاكتسب

---

[39] ناصر الدين سعيدوني ، **ورقات جزائرية** ، ط 2 ، دار البصائر ، الجزائر ، 2009 ، ص 239 .

[40] Ernest Mercier , **Histoire de Constantine** , J. MARLE ET F. BIRON, IMPRIMEURS-ÉDITEURS , Damrémont , 1903 , p 271 .

صالح بذلك ثقة وتقدير هذا الداي أيضا ، وهذا ما ساعده لاحقا على الارتقاء لمنصب الباي بعد وفاة صهره أحمد باي القلي سنة 1771[41] .

وقد شهد حكم صالح الكثير من الحملات العسكرية على المناطق الداخلية لجمع الضرائب وإخضاع المناطق والقبائل المتمردة عن حكم البايلك مثل حملته على أولاد نايل سنة 1773 ، وحملته على جبال عمور سنة 1785 وكذلك حملته على منطقة الزيبان وتقرت سنة 1788 ، ويدخل ضمن نطاق أعماله الحربية أيضا مشاركته في صد بعض الحملات الخارجية على الجزائر مثل الحملة الإسبانية التي قادها الدوق أوري على مدينة الجزائر سنة 1775[42] .

شهدت فترة حكم صالح باي أيضا نهضة عمرانية كبيرة ، فقد ولع هذا الباي بالبناء والتشييد ، ومن أهم أعماله في هذا المجال إعادة إعمار وتجميل حي سيدي الكتاني ، وقد كان هذا الحي قبل ذلك قديما ومهترئا وأغلب سكانه من اليهود فقام صالح باي بشراء أغلب الأملاك والعقارات هنا ثم هدمها وبدأ بتجديد الحي بعد أن حول اليهود إلى حي جديد هو حي الشارة ، وأول ما قام به هنا هو بناء مسجد جامع جميل في قلب هذا الحي وألحق به مدرسة أيضا ، كما أنشأ في الساحة المقابلة للمسجد مجموعة من المحلات صارت تعرف باسم سوق الجمعة ثم لاحقا باسم سوق العصر ، وفي زاوية شارع قرمان (سابقا) قام صالح باي ببناء منزله الكبير ومن خلفه أقام اسطبلات فسيحة وحديقة جميلة[43] .

ومن بين الأعمال العمرانية الهامة لصالح باي نذكر أيضا بناءه لمرسى سكيكدة فقد ذكر ابن العنتري أنه هو الذي أسسه وأنه صار ميناء هاما في الشرق يقدم إليه الكثير من الأجانب لأخذ الوسق وحصلت منه منفعة كبيرة لقسنطينة[44] .

ومن أعمال صالح باي العمرانية نذكر أيضا أنه شرع في ترميم وإصلاح جسر القنطرة ، فبعد أن تعطل الجسر الروماني مدة تزيد عن الخمس قرون عزم صالح باي على إصلاحه ، وجلب لهذا الغرض مئة عامل من أوربا وأشرف على الأشغال مهندس إسباني يدعى الدون بارتو ليمو (Barto Limeo) ، وقد عزم صالح باي في البداية على جلب مواد البناء من الخارج كالحجارة المعالجة من جزر البليار لكنه عدل عن ذلك واكتفى باستخدام أحجار الخرائب الرومانية الموجودة بكثرة بالقرب من حصن المنصورة ، ورغم ذلك فقد تكلف هذا المشروع أموالا ضخمة ولسوء الحظ فإن صالح باي لم يتمكن من إتمامه إذا عاجله العزل ثم القتل[45] .

---

[41] سعيدوني ، مرجع سابق ، ص 241 .
[42] سعيدوني ، مرجع سابق ، ص 242 ، 243 .
[43] Mercier , p 292 , 293 .
[44] محمد الصالح بن العنتري ، مصدر سابق ، ص 62 .
[45] سعيدوني ، مرجع سابق ، ص 246 ، 247 .

ورغم مآثر هذا الباي وأعماله الجليلة للبايلك والإيالة فقد كانت نهايته حزينة وعلى غير المتوقع ، فقد عزله حسن باشا بعد وصوله للحكم سنة 1791 وأرسل بدله الباي ابراهيم بوصبع ، لكن صالح باي لم يتقبل ذلك كما لم يتقبله أنصاره الذين قاموا بقتل هذا الباي الجديد وقتلوا معه كل رجاله الذين أتوا معه وعددهم كما ذكر ابن العنتري مئة نفس بالضبط[46] ، وأعقب هذه العملية الخطيرة صراع بين أنصار صالح وأغلبهم من الأتراك ومعارضيه وأغلبهم من الأهالي الذين أحسوا بخطورة هذا التمرد وعواقبه الوخيمة عليهم ، وأرادوا التنصل من مغبة هذا الفعل بمراسلة الداي في الجزائر وإطلاعه على حقيقة الأمر وتخليهم عن صالح باي ، وهذا ما سهل على الباي الجديد حسين باي قمع هذا التمرد ووضع حد له ، حيث تمكن من القبض على صالح بتواطؤ من شيخ البلد ابن الفكون ، ونفذ فيه حكم الإعدام خنقا بحصن القصبة ليلة الأحد 16 محرم 1207 هـ (02 سبتمبر 1792)[47] .

ومما ذكره ابن العنتري عن صالح باي أن سيرته تبدلت في آخر حياته فاتسم حكمه بالظلم والتجبر ، ومما أورده حول ذلك : " ... ولما قرب أجله وحانت وفاته تبدلت سيرته وانعسكت حقيقته وصار يظلم ناس الزاوية حتى أفضى به ذلك إلى الهلاك والهاوية "[48] .

2 – شاهد قبر إحدى بنات صالح باي (صورة 07) :

وهو عبارة عن لوح مستطيل الشكل يعلوه شكل عقد نصف دائري ، وقد صنع هذا الشاهد من رخام أبيض جميل وزين بكتابة تذكارية تخلد ذكرى وفاة إحدى بنات صالح باي ، كما ذكر به شخص آخر هو محمد بن الخوجة ولا ندري من هو بالضبط ، هل هو أحد أبناء صالح باي أيضا ويكون القبر متضمنا رفاتين معا أم هو شخص آخر .

وقد تضمنت الكتابة سبعة أسطر نفذت بخط ثلث جميل وبطريقة بارزة ، السطران الأول والثاني تضمنا البسملة والصلعمة ، أما الأسطر الخمس المتبقية فقد تضمنت أبياتا من الشعر ، كل مصراع داخل إطار شبه مستطيل مكون من خطين أفقيين متوازيين وخطوط منحنية عن الجانبين ، وهناك زخارف نباتية تملأ الفراغات بين الأطر قوامها أزهار وأوراق ، ومما استطعنا أن نقرأه في هذا الكتابة ما يلي :

سطر 01 : بسم الله الرحمن الرحيم .

سطر 02 : وصلى الله على سيدنا محمد .

سطر 03 : فلله قبر قد حوا الشمس والدرا * عليهم من الرحمن رحمة سرا .

سطر 04 : سليلة صالح وتدعا ..... * فتاة لها قدر كبير بلا امترا .

---

[46] ذكر الزهار أنهم كانوا أربعين رجلا فقط من قبيلة عمراوة ، أنظر : الزهار ،مصدر سابق ، ص 87 .

[47] سعيدوني ، مرجع سابق ، ص 250 .

[48] ابن العنتري ، مصدر سابق ، ص 62 .

سطر 05 : محمد الباهي سليلا لخوجة * له الجد في الفر ..... .

سطر 06 : .....

سطر 07 : .....

ونلاحظ أن شاهد القبر هذا يتكئ عليه ويلتصق به شاهد آخر يشبهه شكلا لكنه أقل منه حجما بكثير (صورة 08) ويتكون من عقد نصف دائري متجاوز يعلوه هلال متجه نحو الأعلى لكن نصفه مبتور ، ولا يتضمن هذا الشاهد أي كتابة لكنه يتضمن زخرفة نباتية نفذت بطريقة الحفر الغائر قوامها شجرة سرو في الوسط تنبثق منها في الأعلى متدلية نحو الأسفل أوراق نباتية تنتهي بأزهار خماسية مفصصة ، وتحيط بشجرة السرو من الجانبين في الأسفل سيقان وأوراق ينتهي كل منها بزهرة الورد .

باقي القبر مصنوع كله من الرخام الأبيض أيضا ، ألواح مستطيلة من فوق وعلى الجانبين .

وهناك قبور أخرى كثيرة في هذه المقبرة بدون أسماء جلها مصنوع من الرخام وأهم ما يميزها هو العمائم (صورة 09) ، وكل هذه العمائم مستديرة الشكل لكن بطرز وأحجام مختلفة ، منها ما هي مستديرة استدارة بسيطة تشبه العجلة ومنها ما هي محدبة ومرتفعة قليلا نحو الأعلى تشبه الشكل البصلي ، وهناك من هذه القبور ما يضم من هذه العمائم اثنين في مقدمه وفي مؤخره ، وترتفع كل هذه العمائم فوق ما يشبه الأعمدة الصغيرة ذات أشكال مختلفة منها ذات المسقط المربع ، ومنها الأسطوانية مسلوبة القطر ، ومنها الأسطوانية ذات الأقنية ، ومنها اللولبية مسلوبة القطر نحو الأعلى وهي الأجمل من بينها .

خاتمـــــــة :

وفي الأخير يمكن القول أن شواهد القبور هذه تعد إرثا حضاريا وثقافيا كبيرا وبالغ الأهمية ، فهي إلى جانب كونها تحفا فنية ومعمارية راقية وبديعة الصنع ، فهي تمثل أيضا أدلة تاريخية مادية هامة جدا فقد تضمنت الكثير من الأسماء والتواريخ ، وإذا كانت النصوص والروايات معرضة للتزييف أو التحريف في بعض الأحيان فإن هذه الشواهد المادية بعيدة عن ذلك وتتمتع بمصداقية كبيرة .

وإضافة إلى ذلك يمكن أن نعد هذه الشواهد من النصوص الأدبية الجديرة بالدراسة من تلك الفترة بما حوته من أشعار وأبيات تضمنت خاصة أغراض الرثاء أو المدح .

وأخيرا فهذه الشواهد تمثل أيضا نماذج هامة لما وصلت إليه إجادة الخط العربي في تلك الفترة ، وقد لاحظنا أنه استخدم نوع واحد من الخط في هذه الشواهد هو خط الثلث ، مع العلم أنه استخدمت خطوط أخرى عديدة في الجزائر خلال هذه الفترة منها خط النسخ ، الخط المغربي والخط الكوفي ، لكن خط الثلث كان الأكثر شيوعا وانتشارا وقد وصلتنا منه نماذج بديعة استخدمت في الكتابات التأسيسية وفي شواهد القبور .

بيبليوغرافيـــــا

أولا : باللغة العربية

- ابن العنتري محمد الصالح ، **تاريخ قسنطينة** ، تحقيق يحي بوعزيز ، دار البصائر ، الجزائر ، 2009 .
- ابن منظور ، **معجم لسان العرب** ، تصحيح أمين محمد عبد الوهاب ، محمد الصادق العبيدي ، ط 3 ، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، 1999 .
- بن بلة خيرة ، **المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني** ، رسالة دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية ، إشراف : د.عبد العزيز لعرج ، جامعة الجزائر ، 2008/2007 .
- بوعزيز يحي ، "**معارك الحاج أحمد باي في جبال أولاد السلطان من خلال ثلاث وثائق جزائرية**" (ملحق رقم 05 ضمن كتاب تاريخ قسنطينة لابن العنتري) ، الجزائر ، 2009 .
- دودو أبو العيد ، **الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان** ، دار الأمة ، الجزائر ، 2008 .
- الزبيري محمد العربي ، **مذكرات الحاج أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة** ، ط 2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981 .
- الزهار أحمد شريف ، **مذكرات نقيب أشراف الجزائر** ، تحقيق أحمد توفيق المدني ، دار البصائر ، الجزائر ، 2009 .
- سعيدوني ناصر الدين ، **ورقات جزائرية** ، ط 2 ، دار البصائر ، الجزائر ، 2009 .
- شلوصر فندلين ، **قسنطينة أيام أحمد باي** ، ط 1 ، تر أبو العيد دودو ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1980 .
- عبد القادر نور الدين ، **صفحات من تاريخ مدينة الجزائر منذ أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي** ، دار الحضارة ، الجزائر ، 2006 .
- عزوق عبد الكريم ، " **الأضرحة ببجاية – دراسة نموذجية** " ، مجلة دراسات تراثية (يصدرها مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط – جامعة الجزائر 02)، ع 01 ، الجزائر ، 2007 .
- محمد رزق عاصم ، **معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية** ، مكتبة مدبولي ، مصر ، 2000 .

ثانيا : باللغة الأجنبية

- Devoulx Albert , **les édifices religieux de l'ancien Alger** , typographie Bastide , Alger , 1870 .

- Klein Henri , **feuillets d'El-Djazair** , T 02 , édition du Tell , Blida - Algérie , 2003 .

- Mercier Ernest , **Histoire de Constantine** , J. MARLE ET F. BIRON, IMPRIMEURS-ÉDITEURS , Damrémont , 1903 .

ملـــــحق الصـــــور

صورة 01 : شاهد قبر الداي مصطفى باشا بن ابراهيم

صورة 02 : شاهد قبر عمر باشا (الوجه)

صورة 03 : شاهد قبر عمر باشا (الظهر)

صورة 04 : شاهد قبر الحاج أحمد باي (الظهر)

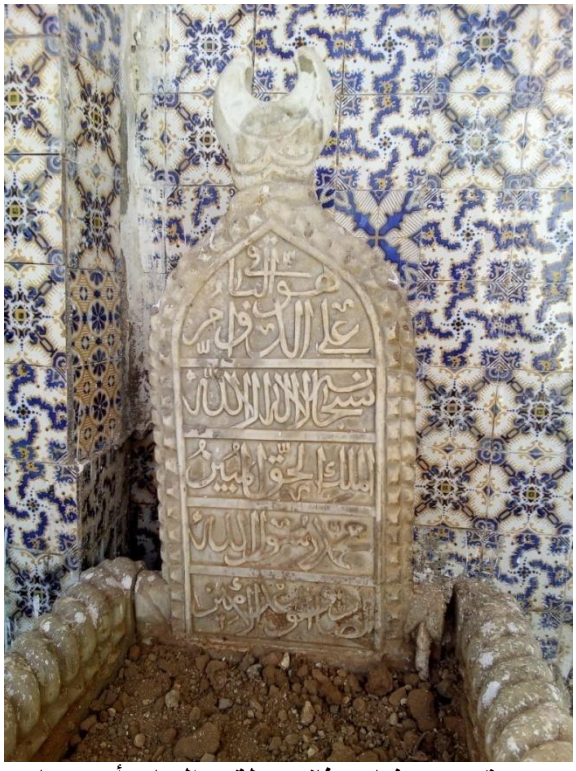

صورة 05 : شاهد ثانوي لقبر الحاج أحمد باي

صورة 06 : شاهد قبر صالح باي

صورة 07 : شاهد قبر لإحدى بنات صالح باي (الظهر)

صورة 08 : شاهد قبر لإحدى بنات صالح باي (الوجه)

صورة 09 : شواهد قبور على شكل عمائم بمقبرة صالح باي